المحاضرة رقم:3.

علاقة علم اللغة النفسي بالعلوم الأخرى(2):

1- طبيعة العلاقة بين علوم اللغة:

قبل توضيح علاقة علم اللغة النّفسي بالفروع اللغويّة، علينا أوّلا بيان العلاقة بين علم اللغة التطبيقي ، وبين علم اللغة العام، على اعتبار أنّ علم اللغة النّفسي فرع من فروع علم اللغة التطبيقي، فعلم اللغة التّطبيقي ليس تطبيقا لعلم اللغة العام، وما وصفة بالتطبيقي إلا لكون موضوعاته ومجالاته ذات طابع تطبيقي، ولكنّ هذا العلم التطبيقي يتميّز بالمرونة والانتقائيّة والنّفعيّة والفاعليّة، وعليه فإنّ اللغويين التطبيقيين لا يمتنعون عن الأخذ بالنتائج التي حققتها علوم أخرى نظريّة وتطبيقيّة تفيد في معالجة القضايا وإيجاد الحلول، ولذلك يتميّز علم اللغة التطبيقي بغنى المرجعيّات المعرفيّة، اللغويّة وغير اللغويّة.

ونشير هنا أيضا إلى وجود تداخل شديد بين موضوعات علم اللغة النّظري وعلم اللغة التّطبيقي من جهة، وبين موضوعات فروع علم اللغة التطبيقي من جهة ثانية، ونضرب مثالا هنا بالنتائج التي حققها علم اللغة النظري، والتي أفادت كثيرا في ميداني تعليم اللغات والترجمة الآلية، ومن امثلة النوع الثاني من العلاقة دراسة قضيّة الاكتساب اللغوي في النظريّات اللغويّة الحديثة، بالإضافة إلى تناولها في عدّة فروع تطبيقيّة كتعليميّة اللغات، وعلم اللغة الحاسوبي، وعلم اللغة النّفسي.

2 ـ علاقة علم اللغة النّفسي بالعلوم اللغويّة:

يمكن توضيح العلاقة بين الدّراسات اللغويّة والدّراسات النّفسيّة، بالعودة إلى تاريخ علم اللغة النفسي، والمراحل التي مرّ بها في نشأته وتطوّره، ففي مرحلة سبقت ظهور علم اللغة الحديث بزمن كثير، طُوّرت مفاهيم في علم اللغة النّفسي، وفق ما قدّمه علم النّفس اللغوي، في أوروبا، على يد الألماني (ويلهام فند) (1832- 1920)؛ حيث يعدّ هذا الباحث مؤسس هذا العلم، فقد أنشأ معملا خاصّا به عام (1879) ، وقد كانت دراساته ترتكز على مناهج ومفاهيم علم النّفس في هذا المجال، وهو أوّل من كتب حول سيكولوجيّة اللغة، انطلاقا من فكرة أنّ اللغة لا يمكن دراستها وتحليل ظواهرها بمعزل عن الأسس النّفسيّة، لكنّ هذا العلم لم يكن معروفا حينها بهذه التسمية (علم اللغة النّفسي).

وبظهور علم اللغة الحديث على يد دوسوسير بدأت الإشارة إلى الجوانب النّفسيّة والمعرفيّة في اللغة، فمن المفاهيم النّفسيّة عند دوسوسير: المدلول، وهو التصوّر الذهني والصورة المفهوميّة، في مقابل الدال وهو الصورة الصوتيّة (الأثر السّمعي) ، وقد أشار دوسوسير مباشرة إلى العلاقة بين علم اللغة وعلم النّفس، وخاصّة علم النفس الاجتماعي،

بقوله في محاضراته : "كل ما في اللغة ، في جوهره نفسي، بما في ذلك مادّة اللغة ومظاهرها." كما تحدّث عن منطقة (بروكا) في الجزء الأيسر من الدّماغ، وهي المنطقة المسؤولة عن اللغة ، والاضطرابات والأمراض اللغويّة الناجمة عن الإصابات المختلفة في خذه المنطقة. ونشير هنا أيضا إلى دورة التّواصل لديه وبخاصّة الجزء الداخلي منها (الاستيضاع وفكّ الاستيضاع).

غير انّ علم اللغة النّفسي ظلّ مجرّد إشارات عرضيّة إلى الجوانب النّفسيّة هنا وهناك، وأهميّتها في الدّراسات اللغويّة دون استقلاليتها في مجال خاصّ.

أمّا البداية الحقيقيّة لعلم اللغة النفسي، فقد كانت في الولايات الأمريكيّة أين امتزجت الدراسات في علم اللغة وعلم النّفس السلوكي، وقد بلغ الامتزاج ذروته، وصدر عدد من مجلّة علم النفس السلوكي عام (1930) خُصّص كلّه للحديث عن المشكلات المختلفة في علم اللغة النفسي، وقد كان لظهور علم النّفس السلوكي على يد (واطسن) الفضل الكبير في الالتقاء بين الدّراسات النفسيّة واللغويّة، أمّا الالتقاء الفعلي والامتزاج الحقيقي فقد كان علي يد السلوكيين والبنيويين، وعلى رأسهم (سكينر) و(بلومفيلد)، فقد ألف سكينر كتابا سمّاه " السّلوك اللفظي"، أمّا بلومفيلد فهو زعيم المدرسة اللغويّة البنيويّة السّلوكيّة (المدرسة التوزيعيّة)، وقد تمّ تفسير اللغة تفسيرا آليّا (استجابة لمثير)، وتمّ النظر إليها على أنّها عادات بسيطة مثل الجري أو اللعب كثلا.

وكان لابدّ من انتقاد هذه النظرة الآلية البسيطة في تفسير اللغة، وهو ما قام به فعلا تشومسكي، ردّا على المذهب السّلوكي، وهي المرحلة التي تأسس فيها فعلا علم الغة النفسي في نهاية الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي، فعلى الرغم من النزعة العقليّة والفلسفيّة للنحو التوليدي، فإنه وجّه الأنظار إلى وجود ملكة نفسيّة دافعة إي إنتاج اللغة وتفسيرها، وفي هذه المرحلة بدأ الاستقلال الفعلي لعلم اللغة النفسي، عن علم اللغة وعلم النفس، بعد أن كانت بوادر هذا الاستقلال عام (1950) بغد الاتقاء الذي حصل بين الدراسات اللغويّة، وعلم المعلوماتيّة، وقد كان لهذا الغلم الدور البارز في تطوير علم اللغة النفسي.

وتأسست نظرية النّحو التوليدي التحويلي على عدد من المفاهيم مثل: الكفاية، والبنية العميقة في مقابل البنية السّطحيّة، والإبداع اللغوي، والكليّات، كما بُنيت على المبادئ الفطريّة التي تمكّن الإنسان من اكتساب اللغة وتعلّمها، فاللغة في هذا الاتّجاه نظام فطري كامن في ذهن الإنسان تجسّده الأذاءات الكلاميّة التي يتحكّم فيها عنصر الإبداع، والذي هو خاصية وميزة فرديّة، ووصف اللغة وتفسيرها يجب أن يركّز على هذا الجانب العقلي، وليس على الأداءات الشكليّة، وهذه النّظرة هي السّبب المباشر لنشأة علم اللغة النفسي وتبلور معالمه.

لقد أدى الاهتمام بالجانب المعرفي للغة وليس باللغة في حدّ ذاتها عند تشومسكي، إلى تحوّل علم اللغة إلى جزء من علم النّفس - كما يرى بعض منتقدي هذا اللغوي- يبحث في العمليّات المعرفيّة، وفد تطوّرت الدراسات اللغويّة للجوانب النفسيّة بعد تشومسكي كثيرا، وتطوّر علم اللغة النّفسي ولم يعد يقتصر على الجوانب والقضايا التي طرحها تشومسكي، بل انفتح على موضوعات جديدة أُستمدّت من حقول معرفيّة أخرى وهي: علم النّفس المعرفي، وعلم اللغة العصبي، وعلم اللّغة التطبيقي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الإثني، وعلم التربيّة، والمعلوماتيّة، ونظريّة الذكاء الاصطناعي، وما ارتبط بها من العلوم التي قرّبت علم اللغة النّفسي إلى الميادين التّطبيقيّة، وهناك من طلّاب تشومسكي من حوّل مجال اهتمامه إلى علم النّفس المعرفي، وعلم نفس النّمو اللغوي، وقاموا بطرح قضايا لم يطرحها تشومسكي، وقاموا بتطبيقها في ميادين لم يكن تشومسكي نفسه يرى إمكانية التطبيق فيها مثل ميدان تعليم اللغات.

وهكذا يمكننا القول إنّ علم اللغة النفسي نشأ مرتبطا بعلمي النفس واللغة، وهو اليوم مرتبط بعلوم كثيرة نظرا لطابعه التطبيقي الذي يستدعي الحاجة إلى الغنى المعرفي.